الفصل الحادي عشر

المبحث الأول

الجهاد «الكفاح المسلح»

١ ـ حركة الجهاد الإسلامي: عرف فيها المجاهد عز الدين القسّام ، وهو من مواليد جبلة ١٨٧١م ، درس بالأزهر الشريف ، وشارك البيطار في ثورة اللاذقية على الفرنسيين ، وحكم عليه بالإعدام ففرّ إلى حيفا عام ١٩٢٢م ، سكن في حي «الباجور» ناحية التهويد ، وعمل مدرّساً ، ثمّ انضمّ إلى جمعية الشبان المسلمين وترأسها ، وأصبح خطيباً في جامع الاستقلال ١٩٢٩م ، وكان له دور في التوعية بمخاطر الهجرة اليهودية بعد أن آلف بين القلوب وأزال الخصومات والأحقاد وحقّق قاعدة إيمانية صلبة.

كانت له صفات شخصية مميزة «حسن الخلق ، دمث الأخلاق ، طيب القلب ، قوي الحجة ، ينظر للأمور برويّة ، ويدرك ما يدور حوله ، ويعرف ما عليه عمله».

أسّس المنظمة الجهادية بشكل سريّ بعد أن جمع الناس حوله ، وبدأت عيون العدوّ ترصد تحركاته ، أعلن الجهاد عام ١٩٣٥م وترك حيفا إلى جبال جنين ، فوزّع رجاله على الجبال فكانت تتسلل ليلاً إلى المستعمرات ومراكز الشرطة فتهاجمها ، إلى أن استفحل أمره.

وفي عملية انتقامية قام بها العدو مستخدماً قوات كبيرة أعدها مسبقاً ، استطاع القسّام أن يستدرج العدو إلى المكان والزمان المناسبين ويفرض المحاربة فيكبّد العدو فيها خسائر فادحة ، رغم استخدامه لجميع صنوف الأسلحة والطائرات.

سقط القسّام شهيداً ومعه الشيخ الحنفي والزيباوي ، أكرمهم الله جميعاً بالشهادة وحمى الله باقي المجاهدين.

لقد انتقل القسّام إلى الرفيق الأعلى تاركاً وراءه ثورة منظمة كانت نبتة قد غرسها لا تزال ثمارها تجنى اليوم ، تابعت الثورة مسيرتها غير متأثّرة لموت قادتها؛ لأنها مبنيّة على قواعد إيمانية وليس على قواعد شخصية ، «المبدأ هو الذي يعلو وليس صوت إنسان أياً كان».

واستمرت الثورة بمهاجمة المستعمرات ومراكز الشرطة والجيش ، واستمر رجالها بالجبال إلى أن انضم القسامون إلى الثورة التي نشبت عام ١٩٣٦ م.

٢ ـ حركة القاوقجي «جيش الإنقاذ»: قامت الثورة في منطقة يلعا شرق طول كرم ضد الجيش البريطاني «الانتداب» في ٣/ ٩/ ١٩٣٦م فحققت انتصاراً أضرّ بهيبة الجيش البريطاني.

كذلك في معركة نرشيحا قضاء عكا ، والجاعونة قضاء صفد ، مما اضطرّ الجيش البريطاني لإرسال تعزيزات عسكرية لفلسطين ، استطاع الثوار ضربها في ٢٩/ ٩/ ١٩٣٦م والإفلات ، فاضطرت القوات البريطانية للانسحاب باتجاه نابلس.

وفي عملية عسكرية للجيش البريطاني لتطويق الثوار المجاهدين في جبال الخضر بأعداد هائلة سقط الشهيد سعيد العاص وأسر المجاهد عبد القادر الحسيني ، وكانت الخسائر البريطانية كبيرة مما اضطرها لطلب هدنة أو وقف إطلاق نار ، وطلب إجراء مفاوضات سياسية عن طريق وساطة غربية «عبر حكام البلاد المجاورة» ، وافقت اللجنة العربية العليا على وقف إطلاق النار ووقف الإضراب ، وتجمّدت الثورة دون أن تقدّم أي تنازلات.

بعد أن صدر بيان عن الملوك والرؤساء العرب دعا فيه الشعب الفلسطيني للإخلاد للهدوء ووقف الإضراب الذي دام ١٧٦ يوماً «من١٦/ ٤/ ١٩٣٦م إلى ١٢/ ١٠/ ١٩٣٦م» وهذه الخدعة من بريطانيا واستسلام الملوك والحكام لهذه الوعود بالغباء لم يسفر عن شيء ، إلاّ أن القوات البريطانية طلبت فيما بعد أن

يغادر القاوقجي ورجاله «المجاهدون» إلى شرقي الأردن فغادرها في ٢٥/ ١٠/ ١٩٣٦م.

ثم بدأت الحكومة البريطانية بِـ:

١ ـ إعلان حرب شعواء على الثوار.

٢ ـ تحقيق مصالحة «خدعة» مع الحكام والملوك العرب.

٣ ـ إجلاء عائلات البريطانيين من فلسطين.

٤ ـ أعطاء أوامر صارمة ضد الإرهاب الصهيوني حتى لا يبرر عمل الثوار.

وهكذا وبالتعاون مع بعض الأحزاب «حزب الدفاع الذي شكل فصائل السلام» تقدمت قوات بريطانية ضخمة حشدت من عدة جهات وأنزلت بالثورة ضربة في ٤/ ١٠/ ١٩٣٨م أصيب فيها قائد الثورة المجاهد عبد القادر الحسيني في الخليل ، وسيطرت بعد معارك دامت ثلاثة أيام على القدس التي كانت في قبضة المجاهدين.

ـ تراجع العمل الجهادي بتأثير هذه الخدعة والضربة ليصبح الدور للعمل العربي السياسي ، وليعود للحكام دورهم في الدخول ثانية في أوهام التخدير البريطاني لهم ، وتبدأ مرحلة الضياع ، إذ سعت بريطانيا بتقديم معسول الوعود حتى تأمن جانب فلسطين في دخولها للحرب العالمية الثانية.

ـ بعد مغادرة الحاج أمين الحسيني القدس إلى لبنان بدأت ساعة الهجوم الجهادي في كل فلسطين ، فهاجموا القدس وأخرجوا القطارات عن السكة ومنعوا سيارات الركاب اليهودية ، ودمروا أنابيب النفط قرب الأردن ، وأشعلوا النيران وأحلوا مطار اللد ، وهوجمت المستعمرات ، واحتلت المنشآت وأحرقت ، وكانت المحاكم العسكرية تحكم على كل من يحمل السلاح بالإعدام ، وأوّل من نفذ فيه حكم الإعدام المجاهد الشيخ فرحان السعدي وعمره ٧٥ سنة من رفاق القسام وذلك في ٢٨/ ١٢/ ١٩٣٧م في سجن عكا وهو صائم في شهر رمضان ، مما زاد في اندفاع المجاهدين وأنعشت فيهم روح التضحية والجهاد في سبيل الله.

عاد الحسيني من دمشق إلى القدس في ١٠/١٩٣٧م برفقة عدد من المجاهدين فاتّخذ الخليل مسرحاً للعمليات والتي بلغت ٥٠٠ عملية قتل فيها ٣٠٠ بريطاني ويهودي واستشهد عدد من المجاهدين.

وفي ١٩٣٨م تعاظمت الثورة وسيطرت على مناطق واسعة من الريف، وتوقفت الاتصالات بين المدن «القدس، اللد..»، وتقلص النفوذ البريطاني، واستعاد المجاهدون الخليل وجنين وبئر السبع والقدس القديمة وطبريا، وأصبح المفتي الحاج أمين الحسيني القائد السياسي للجهاد الإسلامي، وتولت اللجنة المركزية للجهاد الوطني في فلسطين توجيه الثورة وإمدادها بالمال والسلاح، وبرزت القيادة الميدانية من مجموع القادة المحليين، ومن ثم قامت اللجنة المركزية بتنظيم العلاقات مع المناطق التي امتد نفوذها إليها، وتبلورت قيادة المناطق على أساس اللامركزية، وقسمت البلاد إلى مناطق يقودها مجموعات محلية «أخذت طابع الدولة..».

المبحث الثاني

الصراع الفلسطيني اليهودي

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية التي بيّنت للحكام والملوك غدر حليفتهم بريطانيا ، وتمسكهم بجهلهم وغفلتهم؛ إذ كانت قد وعدتهم قبل الحرب بأن تعطي الفلسطينيين حقوقهم لكنهم فوجئوا «كما هي عادتهم بالمفاجأة» أن الولايات المتحدة الأمريكية قد أخذت دوراً جديداً وهو تبني التهجير لليهود من دول أوربا إلى فلسطين ، ومعالجة الأمور الأخرى بالدبلوماسية الأمريكية ، وجعل فلسطين دولة يهودية مندمجة بالبناء الديمقراطي العالمي ، وتبين أن الولايات المتحدة شريك في تقرير مصير الانتداب بالتساوي مع بريطانيا . . وهكذا تبخرت أحلام الموهومين وظهر فشلهم وضيق أفقهم ، إذ أحيلت القضية للأمم المتحدة وجامعة الدول العربية «كل يدلو بدلوه» وصارت المشكلة اليهودية ذات طابع دولي في الأمم المتحدة ، فمن لجنة تحقيق دولية ، إلى تقرير الأمم المتحدة ، إلى قرارات الأمم المتحدة . . . إلى إنهاء الانتداب . . وهكذا سارت الأمور كما يلي :

- إخراج عربي بنقل القضية الفلسطينية إلى محكمة العدل الدولية .
- تمّ الاتفاق بين أمريكا وروسيا على أن تنهي بريطانيا انتدابها لفلسطين .
- تمّ تعيين لجنة من الأمم المتحدة للإشراف على التقسيم .
- تعهد بريطانيا للأمم المتحدة بتنفيذ قرار التقسيم .

* الجانب اليهودي:

ـ يعمل على طرد العرب من فلسطين على جميع الأصعدة. . دولياً وداخلياً وعسكرياً.

ـ والوكالة اليهودية المركزية والتي تمثل الجهاز المركزي «التنفيذي» للمخطط الاستعماري قبل قيام الدولة.

ـ التحضير العسكري ، إنشاء المزارع التعاونية «كيبوتزات» عناصرها جنود مدربون.

ـ شكلت الوكالة اليهودية من:

١ ـ قوات الهاغانا التي لم تكن الخدمة فيها مقصورة على المتطوعين ، بل وضعت نظاماً للخدمة الإلزامية وشكلت جيشاً غير قانوني في فلسطين يتمثل بقوات شرطة المستعمرات ، وتعهدت بريطانيا بتسليحها وتدريبها ودفع رواتبها.

٢ ـ قوات احتياطية يخدم فيها كل يهودي مقيم في فلسطين ، وأصبحت تتشكل من:

١ ـ قوة الدفاع الثابت ، وتتألف من سكان المستعمرات وسكان الأحياء اليهودية في المدن وعددها ٤٠٠٠٠ عنصر.

٢ ـ قوة القتال: وتتألف من شرطة المستعمرات وسكان الأحياء اليهودية وعددها ١٦٠٠٠ عنصر ، والقسم الأكبر من أفراد الشرطة اليهودية من أفراد الهاغانا ، والتعاونيات المعروفة باسم نوتريم التي أغارت في أول إغارة لها مباغتة ضد مراكز الثورة العربية في تموز ١٩٣٨م من كبيوتز حانيتا «الجليل الغربي» ، فأوقعت خسائر فادحة في صفوف الثوار بسبب المباغتة ، وقد حصل التوتريم على أثرها على موافقة القيادة البريطانية في فلسطين على إنشاء الفصائل الليلية الخاصة؛ [لأنها وسيلة رخيصة لحماية أنابيب النفط «شركة نفط العراق البريطانية»] ضدّ الأعمال التدميرية من قبل المجاهدين ، وانطلقت الفصائل الليلية في تنفيذ غاراتها بنصب الكمائن للمجاهدين في الجليل بكامله.

وفي عام ١٩٤٠م حلت الفصائل الليلية ليلتحق رجالها بتنظيم «هيل» ميليشيا الهاغانا والتي وصلت عام ١٩٤٤م إلى «٣٠٧٤٥» مقاتلاً.

٣ ـ قوة البلماخ: وهي قوة الصاعقة «خفيفة الحركة ذات تدريب عال» بدأت بـ ١٥٠٠ عنصر ثم ارتفع العدد إلى ٦٠٠٠ عنصر، ولها مهمات عدوانية هجومية بحتة.

ـ كان مقر الهاغانا في تل أبيب ولديها أسلحة كافية لإمداد المقاتلين، وتقوم بمعسكرات تدريب خاصة باليهود من قبل ضباط إنكليز، ولها عناصر أمنها «مخابراتها» العالية التدريب والكفاءة والتجارب الكثيرة.

ـ منظمة الأرغون «أراغون زفاي ليؤمي»: وهي منظمة شعبية متطرفة إرهابية، شعارها يد تحمل البندقية لأعلى كتب عليها «هكذا فقط»، كان أول عمل لها هو تدريب اليهود من أوربا، وامتازت بمخابراتها السرية التي تعرف باسم «اليد السوداء» وتضم اليهود المهاجرين من البلاد العربية.

وبعد انتهاء الحرب العالمية انضم الفيلق اليهودي الذي اشترك في الحرب العالمية إلى الوكالة اليهودية، وكذلك انضم جميع اليهود الذين تمرسوا على القتال حتى بلغ عدد المقاتلين الموجودين «عدا الموجودين في المستعمرات» ١٠٠٠٠٠ مئة ألف مقاتل، ومن الملفت للنظر أن ٣٦٠٠ جندي بولوني يهودي فقدوا بعد الحرب وبينهم بن غوريون رئيس الوكالة اليهودية، ولكنهم وجدوا في فلسطين.

كان مجال التدريب هو الأعمال القتالية الخاصة في وحدات الجيش البريطاني ودول الغرب إضافة إلى قسم تدرب في هيئة الأركان الأمريكية بقيادة الجنرال آيزنهاور.

ـ وبالنسبة للتسلح: فقد وصل للوكالة اليهودية عن طريق الشراء بالوسائل الملتوية والتهريب من بلدان مختلفة، وعن طريق السرقة من مستودعات الجيش البريطاني، وما يتجمع من مخلفات الجيوش الحليفة، وبالتواطؤ مع عملاء اليهود والهيئات من الجيوش التي يسيطر على قيادتها اليهود.

ـ التشكيلات: شكلت الهاغانا الوحدات التالية:

١ ـ جيش هاحايل، فيه وحدات البلماخ وقوات الميدان لمقاومة الأخطار الخارجية.

٢ ـ الحرس «هامشمار» الذي يضم قوة مخصصة ضد الأخطار المحلية، ويرابط في ١٤ منطقة منها ٣ مدن و٣ أرياف، وتتشكل من أربعة ألوية «لواء شمالي، لواء الوسط، لواء القدس، لواء الجنوب» خاضعاً لرئيس الأركان الذي يعطي أوامره لقادة الألوية أوقات السلم، أما في حالة الحرب فقادة المناطق كلٌّ يقود الوحدات العسكرية في منطقته.

إدارة العمليات: أجمعت الأحزاب الصهيونية على إقامة الدولة اليهودية مستفيدة من:

أ ـ وحدة الموقف السياسي.

ب ـ وحدة القرار المركزي «من رئيس الوكالة اليهودية دافيد بن غوريون».

ت ـ وحدة الهدف بالحسم العسكري.

ث ـ وحدة الإدارة وتوفر مستلزماتها وتخطيط عملها وبرمجته.

ـ سير الأحداث على الأرض: في مؤتمر الصلح الذي عقد بعد الحرب العالمية الثانية والذي كان للمؤتمر اليهودي دور فيه لتحقيق أهداف الصهيونية بالحرب ومنها: تمثيلية حوادث العنف بين الجيش البريطاني واليهود عام ١٩٤٣م، إذ بعد أن قهرت بريطانيا ألمانيا بالحرب أظهرت نفسها عاجزة عن السيطرة على اليهود في فلسطين لمدة عامين، وتتابع التمثيلية أمريكا إذ تقترح على المتخاصمين مشروع «مورسيون» الذي رفضه العرب واليهود وتقدم بريطانيا مشروع المائدة المستديرة بعد أن صارت الأمم المتحدة ممثلة بالصهيونية في جميع وفودها، ولما رفع المشروع لها للفصل بين العرب العُزَّل وبين اليهود المدججين بالسلاح، أعلنت بريطانيا التخلي عن الانتداب «بعد أن حقق الانتداب أهدافه في إيصال اليهود إلى فلسطين وجعلهم قوة قادرة على تشكيل دولة قوية».

وتقرر الجمعية العامة للأمم المتحدة قرار التقسيم وتنسحب بريطانيا لتقوم قوات الوكالة اليهودية «الهاغانا وشتيرن» بالسيطرة التامة ، وقد أفسح الحكام والملوك لها المجال بشكل أو بآخر لتشريد ٨٠٠٠٠٠ لاجيء عن بلادهم في أكبر جريمة إنسانية كانت مسؤولية الحكام «تواطؤ وجهل وحسن ظن بالعدو . . . إلخ» .

ـ الوضع القتالي «تكتيكي» : أساس العمل هجوم سياسي وعسكري ضد قوات الانتداب البريطانية ، وحقيقته طرد سكان البلاد من أراضيهم وممتلكاتهم وجعلهم مشردين .

قال بن غوريون «رئيس الوكالة اليهودية ورئيس دائرة الأمن فيها» في جلسة مغلقة للجنة السياسية : إن أرض اليهود محاطة بدول عربية مستقلة ودول يحق لها أن تشتري السلاح وتصنعه ، وأن تنشيء الجيوش وتدربها «كأنه يبين الأعمال التي على دول المسلمين أن تعملها» ، وإن هجمات عرب فلسطين الموجودين لا تشكل خطراً على الاستيطان اليهودي لكن هناك خطر هو أن ترسل الدول العربية المجاورة جيوشها لمهاجمة الاستيطان وإبادته ، ولا يجوز لنا الانتظار حتى يصبح الخطر جاثماً ، بل علينا أن نبدأ بالأعداء فوراً وبأقصى ما لدينا من قدرة تقنية ومالية ، إن مشكلة الأمن تحتل مكان الصدارة؛ لأن وجودنا بالذات عرضة لهذا الخطر ، والمطلوب الآن موقف جديد من المشكلة وإمكانات أكبر وإعادة تنظيم قواتنا كتأهب من نوع جديد تماماً[١] .

* * *

(١) مؤسسة الدراسات الفلسطينية حرب فلسطين ٤٧ ـ ٤٨ الرواية الإسرائيلية ترجمة أحمد خليفة ص ٦٧ ، الترجمة سمير جبور بنيقوسيا قبرص ١٩٤٨م .

المبحث الثالث

الحرب العالمية الثانية[1]

كانت بريطانيا تخاف من ردود أفعال العرب إذا شكلت جيشاً يهودياً في فلسطين ، في حين تصر الحركة الصهيونية على ذلك لخوض الصراع ضد النازية الألمانية ، فلجأت بريطانيا لفتح باب التطوع في القوات البريطانية وأصبح عدد اليهود فيها ٢٧٠٠٠ عنصر من تنظيم اليوشوف للعمل في جيش الحلفاء ، كما دفعت الهاغانا الشبيبة للتطوع في الجيش البريطاني ، وكان لوصول رومل قائد القوات الألمانية في تقدمه على أبواب مصر ردود أفعال ، فأعادت التعبئة العامة للدفاع عن فلسطين وهو ماعرف باسم البلماخ أو الوحدات الضاربة وكانوا نواة الجيش اليهودي في فلسطين .

وبعد هزيمة الألمان كانت البلماخ تضم الرجال المدربين على الجاسوسية والاستطلاع والكوماندوز وأجهزة القيادة والتدريب ، وقامت حكومة «اليشوف» غير الرسمية برعاية تنظيم البلماخ ، وضمنت الوكالة اليهودية تأمين الموارد المالية لهذا التطوير .

وبانتهاء الحرب تجمع اليهود في أوربا أكثر من مليون يهودي فصار من الواجب نقلهم إلى فلسطين؛ لإظهار بريطانيا أنها عاجزة عن مقاومة اليهود ، ففي ١٧ حزيران ١٩٤٦م تم تدمير عشرة طرق من أصل أحد عشر طريقاً تصل بين مختلف المدن الفلسطينية ، فقد نسف مهندسو البلماخ الجسور والسكك

---

(٢) يقول وليم كار في كتابه أحجار على رقعة شطرنج : إن اليهود أقاموا الحرب العالمية الأولى للقضاء على الدولة العثمانية تمهيداً لإنشاء الكيان اليهودي ، وأقاموا الحرب العالمية الثانية من أجل إقامة الدولة بالفعل بعد أن مهّدوا لها .

الحديدية ، وفي الوقت نفسه قامت الهاغانا بتطوير تعاونها مع المنظمات الإرهابية التي تمارس الإرهاب ضد القوات البريطانية.

ـ في الجانب العربي: حماسة جماهيرية في الشارع تمتصه نداءات الحكام والملوك وتصريحاتهم الفارغة المضمون، وبياناتهم المشتركة عقب اجتماعاتهم وتطابق وجهات نظرهم ووعودهم لشعوبهم بالوقوف مع الشعب الفلسطيني ، كل ذلك في عملية تخدير للأمة الإسلامية بأن الحكام والملوك العرب يتصرفون بما يلائم حل المعضلة ، وأن المسألة بأيدٍ أمينة «حقيقتها مغفلة وجاهلة ومكبلة بارتباطات أجنبية وماسونية».

ـ وفي مجالات التنفيذ: لا شيء سوى خلافات لاختلاف الارتباطات والولاءات ، وغياب للقرار المركزي الذي لا يقوم على رؤية واضحة ولا حرية حركة ودون أية استراتيجية للعمل ، ولكن حركات انفعالية وارتجالية بدليل عدم الاهتمام بالإدارة وتأهيلها وتسليحها أو توفير مستلزماتها.

ـ في مؤتمر الملوك والحكام في عاليه في لبنان قبل انتهاء الانتداب: طرح الحاج أمين الحسيني في المؤتمر في ١٩٤٧/٧/٥م فكرة تشكيل حكومة فلسطينية تتولى زمام الأمور ، وتدعمها الدول الإسلامية المجاورة للقيام بأعباء التحرير والاستقلال ، ولكن صاحب المصلحة في بقاء حكمه ولو على حساب أمته ، وفي عدم إغضاب أسياده البريطانيين «الأمير عبد الله بن الحسين»[١] رفض بشكل قاطع وسايره باقي الحكام.

كما طرح مشروع تشكيل لجنة عسكرية تساعد على تهيئة وسائل الدفاع وتجنيد الشعب الفلسطيني وتدريب المتطوعين بحيث تبقى الجيوش مرابطة على حدود فلسطين فلا تدخلها إلا بإذن.

كما طرح على الفلسطينيين تحمل أعباء الدفاع عن بلادهم على أن تدعمهم الدول العربية المجاورة بالممكن من السلاح والمال غير المتوفر ، وكذلك

---

(١) لأنه كان موعوداً بتشكيل المملكة الأردنية الهاشمية على ضفتي الأردن بعد قيام دولة الكيان الصهيوني ، وإدخال القسم العربي من فلسطين لحكمه وإنهاء اسم فلسطين من الوجود.

بالمتطوعين والمجاهدين ، إلا أن هذا لم يلق أذناً مصغية ، ولكن على العكس شكلت لجان :

أ ـ اللجنة العسكرية : وتتألف من خمسة ضباط .

ب ـ اللجنة المالية : توزعت بنسبة المساهمين فيها كما يلي : مصر ٤٢٪ ، السعودية ٢٠٪ ، سورية ١٢٪ ، لبنان ١١٪ ، العراق ٧٪ ، الأردن ٥٪ ، اليمن ٣٪ .

ت ـ كما تقرر دعم عربي لجيش الإنقاذ «الجهاد الإسلامي» بقيادة فوزي القاوقجي ، وخصص معسكر قطنا قرب دمشق لتدريب المتطوعين من سورية والأردن وفلسطين والعراق .

ـ توضُّع القوات وانتشارها على الأرض : لقد كان انتشار القوات على الأرض أوسع من انتشار القوات اليهودية ، وكانت لديهم قدرة لعزل التجمعات اليهودية ومحاصرتها وضربها ، فعند توافر الإمكانيات والقدرة والعزم والقرار سيكون العمل المجدي ، إلا أن ميوعة المواقف واصطدام المصالح الخاصة مع العامة كان يدفع للتمسك بالمصلحة العامة .

رفضت الهيئة العربية العليا برئاسة الحاج أمين الحسيني التنازل عن دورها الذي طلب منها لمصلحة أحد الأمراء ، فكانت الازدواجية .

اشترطت اللجنة العسكرية على عبد القادر الحسيني أن يخضع نشاطه لأوامرها «وهو ابن فلسطين والمسؤول الأول عن بلده» وهي بعيدة كل البعد عن المشكلة وتتفاعل معها من منظار المتفرج .

كما اشترطت عليه أن يحصر نشاطه في منطقة القدس فقط ، وعلى أن لا يجمع أموالاً من السكان «مشككة في نزاهته» ، دون أن تقدم البديل إلا المزاودة ولوضع العصي في العجلات في أمور تعجيزية «كما يقول المثل العامي في ذلك : صحيح لا تقسم ومقسوم لا تاكل وكول لتشبع» ، كما لم تقدم اللجنة العسكرية أي مساعدة لجيش الإنقاذ «القاوقجي» والذي شكل قوة ضاربة قوامها بين ٥٠٠٠ إلى ٧٠٠٠ مقاتل متطوع + محاربين مقيمين في قراهم .

لذا لم يلتزم عبد القادر الحسيني بما طلب منه «لأنه هراء» فقد كان مجاله يمتد لكل فلسطين مع أن قيادته كانت في القدس ، لقد كان يعاني من نقص كبير في السلاح والذخيرة والمال والعتاد وضعف الكادر الفني والإداري ، ومع هذا ففي الإخلاص والعزيمة استطاع أن يؤدي دوراً بارزاً مقابل التمركز الصهيوني قبل دخول جيوش الدول العربية المجاورة فيما بعد ، فقد دافع عن يافا واللد والرملة بقيادة حسن سلامة ، كما عوض نقص الإمكانات عن طريق التفاف القوى الوطنية المحلية حوله واستبسال رجاله في الجهاد وطلب الشهادة.

تشكيل جيش الإنقاذ «القاوقجي»: لقد شكلته اللجنة العسكرية من متطوعين من بلاد المسلمين «تركيا ، يوغسلافيا ، ألمانيا ، إنكلترا» ، وكان يتألف من سبعة أفواج وبعض السرايا ، بمجموع قدره/ ٣٨٣٠ مجاهداً:

دخل جيش بقيادة العقيد أديب الشيشكلي قبل استكمال استعداده إلى منطقة الجليل الغربي عن طريق لبنان ، وكان عمله في منطقة عكا وصفد والناصرة على جبهة ٦٠ كم.

كما دخل فوج اليرموك بقيادة العقيد محمد صفا ليتمركز في جينين وبيسان ، وتمركز فوج القادسية في جميع قطاع رام الله .

أما فوج حطين فقد تمركز في السامرة إلى طرابلس ، وأخيراً فوج الحسبة ركز في يافا .

وعلى رأس الهرم لجيش الإنقاذ اللواء طه الهاشمي ومعه اللواء إسماعيل صفوت والمقدم شوكت شقير وعزة دروزة.

لقد كان دخول جيش الإنقاذ باتفاق جامعة الدول العربية وبريطانيا ، علماً بأن هذا التوضع للقوات كان في المنطقة المخصصة في التقسيم «للقسم العربي» إذ اعتبرت بريطانيا جيش الإنقاذ مسؤولاً عن المناطق العربية اعتباراً من شباط ١٩٤٨م ، كما كانت مسؤولية الجيش البريطاني حماية القسم المخصص لليهود «لحمايتها» . . أي تكافؤ . . ؟!

التحركات: انقسم جيش الإنقاذ إلى منطقتي عمل:

أ ـ المنطقة الوسطى، والقيادة فيها «لجميع الوحدات» للمجاهد فوزي القاوقجي.

ب ـ المنطقة الشمالية، حيث عملت عدة وحدات ومفارز مستقلة إدارياً، وجيش الجهاد المقدس، ومجموعات محلية بقيادة أديب الشيشكلي.

ـ واستمر هذا الوضع إلى ما بعد دخول الجيوش العربية.

الأعمال الحربية: ليلة ١/٢٢ قام فوج اليرموك بقيادة أديب الشيشكلي بمهاجمة مستعمرة يحيعام جدين في الجليل، وحاصر القلعة، فتدخلت القوات البريطانية وأوقفت الهجوم، وبقيت القلعة محاصرة حتى الربيع.

كما قام بهجوم مماثل عن طريق «تسفي الزراعية» في غور بيسان يومي ١٦ و١٧/٢/١٩٤٨م، وفشل بسبب سوء الأحوال الجوية وتدخل القوات البريطانية، وسقط بالمعركة عدد من الشهداء.

قام جيش الإنقاذ بقيادة القاوقجي بقطع طريق الواصلات بين التجمعات اليهودية وعزلها في كل من القدس وجليل والنقب، ووقعت معارك ضارية في باب الواد قرب القدس «ساعد فيها مجاهدو الإخوان المسلمين»، كما تكثفت هذه العمليات والكمائن بمشاركة متطوعين محليين في القدس والجليل قتل فيها ما لا يقل عن ١٠٠ مئة صهيوني في خمس قوافل تنقل السلاح والتموين للمناطق اليهودية المعزولة.

إن تشكيل جيش الإنقاذ هو طموح الحكام العرب في حصر قضية فلسطين بيد هذه المجموعة والتي يحركونها كأداة وحيدة في تنفيذ سياساتهم مع حكومات الغرب عامة ومع بريطانيا، خاصة وانسجاماً مع المحافل الماسونية التي ينتسبون إليها، إذ وكلوا جميعاً أمر قيادتها «القائد الأعلى» للأمير عبد الله ومستشاره الجنرال كلوب البريطاني، وهكذا تتم اللعبة كما خطط لها، ولهذا فبعد دخول جيش الإنقاذ فلسطين كما خطط له وتوضعت قواته على الأرض «كما يجب وتريد بريطانيا ذلك ليوافق التقسيم ويكون مديراً للمنطقة العربية

فقط ، ويكون الجيش البريطاني لحماية المنطقة اليهودية ، وهو المسؤول عن جميع فلسطين لا جيش انتداب» تركت القوات اليهودية تتحرك كما شاءت لتهدد المناطق العربية وتسلبها أمنها وحريتها وتعبث فيها الفساد ، وتنفذ المذابح في القرى العربية في عملية تهجير وطرد ورعب كما فعلت في كل من دير ياسين وقبيه و . . كل هذا والحكام يتظاهرون بدعم القضية الفلسطينية .

وإمعاناً في التضليل أنعم قائد الجيوش العربية الشديد الحرص على فلسطين ، والذي اختاره الحكام العرب نائباً عنهم لينعم على المجاهد فوزي القاوقجي بلقب باشا ، وطلب منه مقابل ذلك الانسحاب والعودة إلى سورية وتسليم مواقعه للجيش العربي الأردني بقيادة كلوب ، فامتثل القاوقجي للأوامر وانسحب إلى سورية ثم إلى جنوب لبنان ثم إلى فلسطين في حزيران ١٩٤٨م عندما انسحب الشيشكلي حيث تولى القاوقجي القيادة الشمالية .

* * *

المبحث الرابع

الوضع الدولي

في ١٩٤٧/١١/٢٩م صدر عن الأمم المتحدة قرار التقسيم وصوتت بريطانيا «كتمثيلية هزلية» ضده وقررت الانسحاب من فلسطين ، وبدأ الصراع فوراً على الأرض في فلسطين ، وفي شباط ١٩٤٨م أصدرت السلطتان الرئيسيتان في البيشوف «وهما الوكالة اليهودية وفاعاد ليؤمي» أوامرهما بالتعبئة ، وأخذت قوة الهاغانا تتعاظم نتيجة تدفق اليهود ، وأعيد تنظيم التشكيلات العسكرية ، وبانتهاء جلاء القوات البريطانية كانت الهاغانا قد استكملت مخططاتها في الاستيلاء على جميع المناطق المخصصة لإقامة الدولة اليهودية والدفاع عنها .

ـ قرار الجامعة العربية رقم ٨ تاريخ ١٩٤٧/١٢/١٧م باستنكار التقسيم بالنص التالي :

حكومات دول الجامعة العربية تقف صفاً واحداً في جانب شعوبها في نضالها؛ لتدفع الظلم عن إخوانهم العرب وتمكنهم من الدفاع عن أنفسهم وتحقيق استقلال فلسطين ووحدتها .

وقرر رؤساء «ممثلو هذه الحكومات . .» أن التقسيم باطل من أساسه ، وقرروا كذلك عملاً بإدارة شعوبهم أن يتخذوا من التدابير الحاسمة ما هو كفيل بإحباط مشروع التقسيم الظالم ونصرة حق العرب ، فإنهم وطّدوا العزم على خوض المعركة التي حملوا عليها وعلى السير بها حتى نهايتها الظافرة .

القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني ـ وزارة الدفاع الوطني «الجيش

اللبناني» مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت ١٩٧٣م.

في خدعة أميركية:

١ ـ في ١٩/ ٣/ ١٩٤٨م سحبت أمريكا تأييدها لمشروع التقسيم واقترحت وضع فلسطين تحت الوصاية، وإعادة القضية لهيئة الأمم للنظر على هذا الأساس، ودعوة العرب واليهود لعقد هدنة سياسية وعسكرية بانتظار النتائج.

٣ ـ لأن دخول جيش الإنقاذ أدى إلى وضع صعب في الهاغانا والاستيطان، تحول موقف الدول الكبرى عن التقسيم لتأكد استحال تنفيذه سلمياً وعدم استعدادها لفرضه بالقوة.

٤ ـ قدمت القيادة الصهيونية شكوى إلى مجلس الأمن ضد الدول العربية مطالبة بتنفيذ التقسيم بالقوة على يد الدول الكبرى، وإيجاد وضع عسكري إزاء انسحاب القوات البريطانية واستياق الدول العربية «بقواتها» لاحتلال مواقعها، مما جعل القوات الإسرائيلية في وضع صعب «من باب استجداء العطف».

٥ ـ رفعت لجنة التقسيم تقريراً يؤكد استحالة العمل وسط العنف، وأن لا سبيل للأمم المتحدة إلا إرسال جيش دولي إلى فلسطين؛ لتنفيذ التقسيم بالقوة أو إهماله، وأعلنت عدة دول تخليها عن التأييد السابق.

٦ ـ وافق مجلس الأمن على قرار يقضي بالتشاور بين الدول الخمس في وسيلة لتنفيذ التقسيم دون استعمال القوة.

٧ ـ رفضت الدول العربية المقترح وكذلك الوكالة اليهودية، حيث استمرت قواتها بتنفيذ الخطة.

٨ ـ اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية قررت في ١٢/ ٤/ ١٩٤٨م أثناء اجتماعها في دمشق الزحف على فلسطين في ١٥/ ٥/ ١٩٤٨م يوم خروج الانتداب.

ـ اشتكت الوكالة اليهودية إلى مجلس الأمن، فأصدر قراراً دعا فيه الأشخاص والقوات إلى وقف العمليات العسكرية والعنف بتاريخ ١٧/ ٤/ ١٩٤٨م.

ـ قبل انتهاء الانتداب بيوم واحد ١٤/ ٥/ ١٩٤٨م بادرت الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى قبول اقتراح أمريكي بتعيين وسيط دولي للعمل مع لجنة الهدنة من قناصل «أمريكا ، فرنسا ، بلجيكا» في القدس وإيقاف لجنة التقسيم عن العمل.

ـ بعد انسحاب بريطانيا ودخول الجيوش العربية بتاريخ ٢٠/ ٥/ ١٩٤٨م تم تعيين الكونت برنادوت من السويد وسيطاً دولياً.

ـ العمليات العسكرية عشية انتهاء الانتداب وخروج القوات البريطانية ١٥/ ٥/ ١٩٤٨م:

في ١/ ٤ عقد بدار بن غوريون اجتماعٌ لتدارس وضع القوافل على الطرق ، وتقرر حشد ١٥٠٠ جندي لفتح الطريق إلى القدس في عملية أطلق عليها اسم (فحشون) ومهد لها بعمليتين خاطفتين 'القسطل واللد' «التي تحتلهما قوات الجهاد المقدس» ، ونفذت العملية لكن لم تفك الحصار عن القدس ، وكذلك عملية احتلال اللطرون لم تفتح طريق القدس.

في ١٣و١٤/ ٤ تمكن لواءان يهوديان من احتلال عدة قرى في مرج ابن عامر الغربي وترحيل سكانها ، ونفذت مذبحة في دير ياسين ، وحققت هذه المجازر منعطفاً عسكرياً للهاغاناه.

في ٨/ ٤ عبر عملية خداع وإجرام تم قتل سكان القرية في طبريا وتدمير بيوتها ، وعززت القوات الصهيونية في الحي اليهودي المحاصر في طبريا ، وتم احتلال العدو لطبريا بعد معارك ضارية في ١٩/ ٤ وأقيم فيها حكم يهودي ، ورحل سكانها العرب.

في ٢١/ ٤ إثر انسحاب القوات البريطانية من منطقة الميناء حيفا بادرت الهاغاناه بالهجوم على الأحياء العربية من ثلاثة محاور ، علماً بأن الحامية التي كانت فيها كانت ضعيفة تعززها سرايا لبنانية ، وقاتلت هذه الحامية ببسالة ، لكن موجة الذعر التي أصابت السكان والنزوح حيث غادرها معظم السكان باستثناء ٣٠٠٠ شخص ، ولم تستطع القوات الأردنية المرابطة في مصفاة

البترول تقديم المساعدة ، وسقطت المدينة بعد أسبوع من سقوط طبريا .

في ٤/٢٨ احتلت الهاغانا مدينة يافا بعملية سميت «حميش» بقوة ثلاثة ألوية ، دافعت عنها كتيبة أجنادين وكبدت العدو خسائر ٣٣ قتيلاً و١٠٠ جريح ، واستولت على أسلحة كثيرة تركت في أرض المعركة ، إلا أن القوات البريطانية تدخلت ، ونزح السكان وبقي في يافا ٥٠٠٠ شخص عند احتلالها ليلة ٥/١٣ .

في ٤/٢٣ توجهت القوات اليهودية لإسقاط القدس في عملية «يبوس» وجرى الهجوم على ثلاثة محاور «النبي صاموئيل شمال ، أريحا من الشرق ، طريق بيت لحم من الجنوب» وفشل الهجوم من الشمال وخسر العدو ٣٥ قتيلاً بما فيهم قائد المحور شموئيل يوزنسكي .

وفي ٤/٢٦ تحركت قوات البلماخ على حي الشيخ جراح دون تحقيق نتائج .

وفي ٤/٢٩ تحركت على منطقة اللطرون ، وعندما فشلت نهائياً عادت الهاغانا لفتح طريق القدس من منطقة اللطرون بالتعاون مع البلماخ ، وفشلت .

ثم انتظرت الهاغانا خروج القوات البريطانية .

كما انتظرت القوات المحلية وجيش الإنقاذ دخول الجيش الأردني .

وسبقت الهاغانا في احتلال القدس الجديدة ، وفشلت في احتلال المدينة في عملية (شتيقون) حيث كان الجيش الأردني مرابطاً ، وهكذا صارت المدينة مقسمة وبقيت كذلك حتى حرب ٥ حزيران ١٩٦٧م .

في الجليل كانت قوات الإنقاذ والفصائل المحلية تحاصر الحي اليهودي في صفد والكرمل والمستعمرات في الجليل الغربي والشرقي ، وبعد انسحاب القوات البريطانية قامت قوات البلماخ في عملية «بتفاح» باحتلال الجاعونة وفي عملية (مكابي) تم احتلال مجرى نهر الأردن .

في ٥/٦ قامت الهاغانا بالهجوم على صفد بعد معركة فاشلة ، ثم أعيدت وتكبد العدو خسائر ، وانتهت أخيراً بانسحاب جيش الإنقاذ .

في بيسان في ١٢/ ٥ جرت عملية احتلت فيها قرية بربر بعد تدميرها ، وتوقفت العملية بسبب دخول الجيش المصري.

في الجليل الغربي كانت مستعمرة «محيا عام» لا تزال محاصرة ، وكذلك مستعمرة حانيثا ، وإيلون ، ومنسوبا ، وكذلك مدينة نهاريا معزولة ، والطريق إليها مقطوع عند عكا.

في ٨ ـ ١٥/ ٥ وقعت عملية سقطت فيها عكا والقرى العربية إلى الشمال حتى الحدود اللبنانية ، وفي الشرق توقفت العملية في الجليل الأعلى الغربي على مشارف قرية «معلبا» التي ظلت على خط الدفاع الأول حتى ٣١/ ١٠/ ١٩٤٨م عندما سقطت في نهاية الحرب.

وهكذا بعد انسحاب قوات الانتداب البريطاني في ١٥/ ٥/ ١٩٤٨م ودخول القوات العربية ، كانت الهاغانا تسيطر على معظم المستعمرات والمدن الرئيسية من المطلة إلى طبرية الزراعية في غور الأردن ، ومن معوز حايم في غور الأردن إلى حيفا بما فيها مرج ابن عامر ، ومن السهل الساحلي من حيفا إلى رأس الناقوز ، ومن حيفا حتى بئر عام في النقب والبحر الميت.

ومع هذا فقد أعلن دافيد بن غوريون أمام قيادة العمل الصهيوني قيام دولة إسرائيل أمام اجتماع في قاعة تل أبيب ، وبعد عشر دقائق اعترف الرئيس الأمريكي ترومان بها ، بينما الأمم المتحدة تناقش مشروع قرار أمريكي بوضع فلسطين تحت الوصاية ، وبينما المندوب البريطاني يعلن إنهاء الانتداب عن فلسطين أذاعت الدول العربية بيانها بتسويغ دخول جيوشها إلى فلسطين ، وبدأت جيوش خمس دول تعبر الحدود من كل ناحية.

* * *